كَيْفَ تَنْصُرُ نَبِيَّكَ؟

للشيخ / ندا أبو أحمد

(كيف تنصر نبيك)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.....

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

[سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد...،

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لما سَبَّ الغرب رسول الله ﷺ قامت الدنيا وما قعدت، وهاج المسلمون وماجوا، وعلت الأصوات، وبُحَّت الحناجر، وثار الغضب... والآن هدأت الأنفاس، وخمدت نيران الغضب، وكأن شيئاً لم يكن، ***وهذا ما قاله الغرب؛ حيث قالوا:*** " إن هي إلا أيام وينسى المسلمون ويعودون إلى طبيعتهم "

فأحببت بهذه الكلمات أن أجدِّد محبة النبي ﷺ في قلوبنا، وأُبَيِّن كيف ندافع عنه في هذه الحرب البربرية عن خير البرية.

فإن أعداء الإسلام يحاولون بكل ما أتوا من قوة ومال وعتاد القضاء على هذا الدين؛ وسَخَّرُوا لذلك الأموال الباهظة ووسائل عديدة متطورة، وكلما أخفقت وسيلة ابتكروا أخرى، ويرفعون لهذه المعركة أعلاماً شتَّى في خبث ومكر وتورية.

- فتارة يُشكِّكون الناس في ثوابت الدين.
- وتارة يطعنون في رواة الحديث - كأبي هريرة - وذلك لهدم السنة.
- وتارة يخرجون علينا بكتاب الفرقان، ويحاولون استبداله بالقرآن.
- وتارة يطعنون في حبيبة رسول الله - الصِّدِّيقة بنت الصديق - ويتهمونها بالعهر والفجور.
- وتارة يلقون الشبهات على ضعاف العقول؛ ليشككوهم في دينهم.
- وتارة يلقون بالشهوات على الناس وذلك عن طريق الفضائيات والإعلام الماجن الفاجر، الذي يشيع الفواحش، وينشر الرذيلة؛ حتى ينجرف الشباب في تيار الإباحية والفجور؛ فلا ينفعهم نصح الناصحين ووعظ الواعظين.

كما قال بعض أئمة الكفر: كأس وغانية يفعلان في أمة الشرق أكثر مما يفعله ألف مدفع.

- وتارة يُشوِّهُون صورة الملتزمين بهذا الدين وشرع أرحم الراحمين، ويرمونهم بالرجعية والتطرف والتعصب والإرهاب، ويحاولون القضاء عليهم تحت مسمى القضاء على الإرهاب، وهم في الحقيقة يحاولون القضاء على الإسلام.

• ولما تَلَقَّت الأمة الإسلامية هذه الطعنات باستكانة واستسلام تام وبدون دفاع؛ وذلك لما أصابهم من وهن وضعف نتيجة حب الدنيا وكراهية الموت وحب الشهوات، فلما أحسّ أعداء الإسلام بهذا الضعف والوهن من المسلمين كانت الطعنة الأليمة النافذة، طعنةٌ تصاعدت غيومُها في سماء الأمة، تُخيِّم بظلالها على مليار ونصف المليار من المسلمين، ذلك الهجوم السافر والحرب البربرية على خير البرية، والتطاول الوقح البذئ على حبيب الرحمن وسيد ولد آدم، ووصفه بالقاتل والمُعتدي، بل تطاولوا على كتاب الله وقاموا بحرقه في ميدان عام، **فلا أجد لهؤلاء إلا قوله تعالى:**

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا } [الأحزاب: ٥٧]

وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة: ٦١]

يا الله... النبي ﷺ يوصف بالقاتل!؟

قُتِلَ الخَرَّاصون الكذَّابون، فلو قرءوا سيرة الرسول ﷺ ما كانوا عليه يفترون، **فَمِن أسمائه:**

"نبي الرحمة".

– *فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال:*

" كان رسول الله ﷺ يُسمِّي لنا نفسه أسماء، فقال: أنا محمد وأحمد والمُقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة "

– وقد سمَّاه الله رءوفاً رحيماً، قال تعالى:

{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة: ١٢٨]

– بل هو موصوف ﷺ في التوراة الصحيحة الغير محرَّفة بأنه يعفو ويصفح

فقد أخرج البخاري عن عطاء بن يسار – رحمه الله – قال:

" لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وحرزاً للأميين [١]، أنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب [٢] في الأسواق،، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء [٣] بأن يقولوا: "لا إله إلا الله" ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمَّاً، وقلوباً غلفاً "

وصدق ربنا حيث قال: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء:١٠٧]

(1) حرزاً للأميين: حافظاً لهم.
(2) سخاب: رفع الصوت بالخصام.
(3) ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها.

والمُتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد أثر هذه الرحمة والرأفة في كل موقف من مواقف النبي ﷺ الجليلة، بأبي هو وأمي ﷺ.

١. فها هو الحبيب ﷺ عندما يذهب إلى أهل الطائف

يدعوهم إلى عبادة العزيز الغفَّار، يدعوهم إلى النجاة من النار، يمشي إليهم مسافة سبعة كيلومترات في حر الظهيرة؛ ومع هذا فلم يستجب له أهل الطائف، وسلَّطوا عليه صبيانهم وعبيدهم وسفهائهم، يسبُّونه ويصيحون به، واجتمع عليه الناس ورشقوه بالحجارة وأصيب الرسول ﷺ في قدمه الشريفة، واختضبت نعله بالدماء الزَّكية، حتى ألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة – ابني ربيعة – ويأتيه جبريل عليه السلام ، ***والحديث عند البخاري فيقول له:***

" إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملكُ الجبال فسلَّم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملكُ الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ (١) فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرِج اللهُ من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً".

٢. بل انظر إلى هذه المرأة التي وضعت السُمَّ في كتف الشاة لقتل النبي ﷺ ثم هو يعفو عنها

– فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"إن امرأة يهودية (٢) أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك أو عليّ، فقالوا: ألا تقتلها؟ قال: لا. يقول أنس رضي الله عنه: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ"

٣. بل انظر إلى النبي ﷺ عندما دخل مكة منتصراً عزيز الجانب، دخل على أهلها، وهم الذين طردوه منها وحاولوا قتله مرات عديدة فنادى فيهم:

"يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً. أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: {لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ}[يوسف:٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء"

---

(1) الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، وهما جبلا مكة: أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

(2) المرأة اسمها زينب بنت الحارث (امرأة سلام بن مشكم) وقتلها قصاصاً بعد ذلك في بشر بن البراء بن معرور لأنه أكل من الشاة، فأساغها فمات بها.

وغير ذلك من النماذج الكثيرة، والتي تدل دلالة الشمس على سعة رحمة الرسول ﷺ بالناس جميعاً

ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة ﷺ:

" قيل: يا رسول الله ادعُ على المشركين، قال: إني لم أبعث لعَّاناً وإنما بعثت رحمة ".

– *وفي رواية:* " أنا رحمة مُهداة "

بل بلغت رحمته ﷺ بالحيوان

– *فقد أخرج أبو داود بسند حسن عن عبد الرحمن بن عبد الله ﷺ قال:*

" كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرأينا حمرة [1] معها فرخان لها، فأخذناهما، فجاءت الحمرة تعرش [2] ، فلما جاء الرسول ﷺ قال: مَن فجع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها ".

وبعد هذا كله يُوصف النبي ﷺ بالقاتل المُعتدي

ولكنها الحرب على المصطفى ﷺ

والتي بدأت: منذ بزغت وأشرقت شمس الإسلام على جزيرة العرب، ومنذ أعلن الرسول ﷺ عن دعوته؛ بدأ العداء على هذا الدين وعلى الرسول الأمين ﷺ

- **تارة بإيذائه والإساءة إليه**

فقد جاء عند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:

"لما نزلت هذه الآية: " فاصدع بما تؤمر وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فَهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرُج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقي، قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال: فقال أبولهب: تبَّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟

فيتولَّى الله ﷻ الدفاع عن حبيبه؛ فينزل قرآناً يُتلى إلى قيام الساعة:

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } [سورة المسد]

ومنذ هذه اللحظة التي أعلن فيها النبي ﷺ عن ميلاد فجر جديد للإنسانية؛ انفجرت مكة بمشاعر الغضب حينما سمعت هذه الصيحة العالية المدوية، وكأنها صاعقة قصفت السحاب فرعدت وبرقت وزلزلت الجو الهادئ.

---

(1) طائر مثل العصفور.
(2) تعرش: ترفرف.

- **وبدأت الحرب على الرسول ﷺ بشتى أنواعها وأشكالها**

تارة بإيذائه والإساءة إليه، وتارة بمحاولة قتله، وتارة بحربه، وتارة باتهامه في أهل بيته، وتارة بوضع السم له في الطعام وتارة... وتارة

فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

" بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيئ بسَلَى [1] جزور بني فلان؛ فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر، حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظرُ لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش"... ثلاث مرات، فشقّ عليه إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سَمَّى: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب [2] قليب بدر"

(1) السَلَى: هي الجلدة التي يكون فيها الولد، يُقال لها ذلك في البهائم، أما الآدميات: فتسمى المشيمة.
(2) القليب: البئر

• **ولم تنتهِ الحرب بل مازالت الحرب مستمرة على المصطفى ﷺ**

ويحاول عقبة بن أبي معيط خنق النبي ﷺ وقتله:

- فقد أخرج البخاري عن عروة بن الزبير – رضي الله عنهما – قال: سألت ابن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : **" أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ قال: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ }... الآية "** [غافر:٢٨]

• **بل ظل الاعتداء بالنبي ﷺ حتى مات متأثراً بالسُمِّ الذي دسُّوه له في كتف الشاة**

فقد أخرج البخاري عن عائشة – رضي الله عنها– قالت:

" كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم ".

إلا تنصروه فقد نصره الله

• **والله تعالى يُدافع عن نبيه وخليله**

كانت الأنبياء قبل النبي ﷺ يقفون أمام عشيرتهم ويدافعون عن أنفسهم

- فلما قال قومُ نوح لنوح: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [الأعراف:٦٠]

قال نوح دفاعاً عن نفسه: {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف:٦١]

- وقال قوم هود لهود: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } [الأعراف:٦٦]

فقال هود دفاعاً عن نفسه: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف:٦٧]

- ولما قال فرعون لموسى: {إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا } [الإسراء:١٠١]

فقال موسى رداً عليه: {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا }(١) [الإسراء:١٠٢]

وغير ذلك من النماذج، والتي تولَّى كلُ نبي فيها الدفاع عن نفسه، إلا النبي ﷺ فإن الله – جلَّ وعلا– تولى الدفاع عن خليله وحبيبه !

- فلما قال أبو لهب: **"تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟"**

(1) مثبوراً: أي: هالكاً أو مصروفاً عن الخير.

فنزل قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } [المسد: ١)

- ***وعندما قال قومه:*** **"إنه كاهن"، قال تعالى: }لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } [الحاقة:٤٢]**

- ***وعندما قالوا:*** **"إنه شاعر"، فقال تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ } [يس:٦٩]**

وقال تعالى: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ } [الحاقة: ٤١]

- ***وعندما قالوا:*** **"إنه ضال"، فقال تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } [النجم: ٢]**

- ***وعندما قالوا:*** **"إنه مجنون"، قال تعالى: {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ } [القلم: ٢]**

- ***ولما اتَّهموه فيما جاء به من عند ربه ﷻ***

فقال الله ﷻ دفاعاً عنه ﷺ: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ } [التكوير:٢٤]

أي: ليس هذا النبي ﷺ بمتهم فيما يخبر به عن الله ﷻ.

- ***ولما مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل عليه السلام:***

" فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودّعك وقلاك، فقال تعالى:
{وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } [الضحى:١-٣]

- ***وفي رواية البخاري:***

" اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله ﷻ:
{وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } (١)

- ***ولما مات عبد الله الابن الثاني لرسول الله ﷺ:***

استبشر أبو لهب وهرول إلى رفقائه يبشرهم بأن محمداً صار أبتراً

فنزل قول الله ﷻ: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ }(٢) [الكوثر:٣]

- ***ولما قالوا:*** **{إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ}[النحل:١٠١]؛ فقال تعالى:**
{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ }[النحل:١٠٥]

وصدق ربنا حين قال: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}[الحجر:٩٥]، وقال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ }

[الزمر:٣٦]

---

(1) ما ودعك: ما تركك يا محمد، وما قلى: ما أبغضك.
(2) شانئك: مبغضك، الأبتر: المقطوع الأثر أو الخير.

– ويستمر هذا الكلأ وهذه الرعاية الربانية لخير البرية، من ملك الملوك إلى أحب خلقه إليه ﷺ ويحفظه عن كيد الكائدين ومكر الماكرين، كيف لا **وهو القائل:**{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة:٦٧]

– وترى هذه العصمة والرعاية للحبيب ﷺ في مواقف عديدة، لا نستطيع أن نحصرها في هذا المقام ومنها:–

(١) لما كاد المشركون للرسول الأمين ﷺ واجتمعوا على قتله وعزموا على ذلك، ليحولوا بينه وبين الوصول إلى أصحابه في المدينة؛ إذ بجبريل عليه السلام ينزل بوحي من الله ﷻ:

"لا تبت في فراشك الليلة "

(٢) ويخرج النبي ﷺ من بين أظهرهم ويذري التراب على رءوسهم، وهو يتلو قول الحق سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ } [يس:٩]

فيخطف الله أبصارهم وما من رجل إلا ويضع رأسه على صدرة ويغط غطيطاً، ويخرج النبي ﷺ سالماً يكلؤه الله بحفظه ورعايته.

(٣) ولما وصل المشركون إلى الغار الذي فيه النبي ﷺ – هو وأبو بكر – *فقال أبو بكر كما عند البخاري:*

"نظرتُ إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رءوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ما ظنّك باثنين اللهُ ثالثهما "

(٤) وفي أثناء سيره إلى المدينة يلحق به سراقة بن مالك لينال منه؛ رجاء الفوز بالمكافأة التي أعلنت عنها قريش وهي مائة ناقة لمَن يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه حيين أو ميتين.

ولكن بأمر من الله ساخت قائمتا فرس سراقة بن مالك في الرمال، فخرّ عنها ثم زجرها حتى نهضت، فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ارتفع في السماء مثل الدخان؛ فعلم سراقة أن الرسول ﷺ ممنوع.

(٥) وها هو رجل يحاول قتل النبي ﷺ ولكن الله يحول بين ذلك؛ مصداقاً لقوله تعالى:

{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٦٧]

والقصة ذكرها البخاري عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال:

" غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة، وهو في واد كثير العضاه، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلَّق سيفه، فتفرَّق الناس في الشجر يستظلُّون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا، فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم، فاخترط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، مخترط سيفاً صلتاً، قال: مَن يمنعك مني؟ قلت: الله، فشامه ثم قعد، فهو هذا، قال ولم يعاقبه رسول الله ﷺ"

الله أكبر. الرجل يحاول قتل النبي ﷺ ومع هذا لم يعاقبه النبي ﷺ

أين الغرب الذين يتهمون النبي بالإرهاب والاعتداء وسفك الدماء!؟

(٦) والله يحفظ نبيه من التآمر على قتله

ذكر ابن هشام في "سيرته" عن ابن إسحاق:

" أن عُمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان ابن عمير (وهو وهب بن عمير) من أسرى بدر، فذكرا أصحاب القليب (البئر) ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت أما والله لولا دينٌ عليَ ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي؛ لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة (سبب) ابني أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليَّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا (أقوم على أمرهم)، فقال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك، قال صفوان: سأفعل، فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسمَّه، فلما أناخ راحلته على باب المسجد ورآه عمر حتى أخذ بحمالة سيفه (ما يُربَط به السيف على الجسم) في عنقه فلبَّبه بها ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أرسله يا عمر، ثم قال النبي ﷺ: ادْنُ يا عمير فدنا، ثم قال له النبي ﷺ فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسِنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك، قال: قبَّحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال: أُصدقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئتُ إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش: ثم قلت: لولا دَين عليَّ وعيال عندي لخرجت أقتلُ محمداً، فتحمَّل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك، قال عمير: أشهد أنك رسول الله، فهذا الأمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال الحبيب ﷺ: فَقِّهُوا أخاكم في دينه وعَلِّمُوه القرآن وأطلقوا له سيره، ففعلوا ".

فالله ﷻ يكلأ حبيبه ومصطفاه من كيد الكائدين ومكر الماكرين، بل ويحمل كل مَن استهزأ بحبيبه آية وعبرة لمَن خلفه.

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

(١)وها هو رجل يؤذي الرسول ويفتري عليه الكذب؛ فَيُمِتْهُ الله تعالى، ويأمر اللهُ سبحانه الأرض أن تلفظه حتى تأكله السباع وكلاب الأرض.

– ***أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:***

" كان رجل نصراني، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له؛ فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض؛ فعلموا أنه ليس من الناس؛ فألقوه"

– ***وفي لفظ مسلم:*** **" فتركوه منبوذاً "**

وصدق ربنا حيث قال: { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر: ٩٥]

قال ابن تيمية في "الصارم المسلول على شاتم الرسول صـ١١٦":

فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له؛ قسمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمرٌ خارج عن العادة يدل لكلِّ أحدٍ على أن هذا كان عقوبة بما قاله وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممَّن طعن عليه وسبَّه، ولِكَذِب الكاذب، إذ لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد.

(٢)والله يحفظ نبيه من أم جميل (امرأة أبي لهب) [١]

" فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجِّج نار الفتنة، وتثير حرباً شعواء على النبي ﷺ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمَّالة الحطب.

- ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها في القرآن:

"أتت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر (أي بمقدار ملْ الكف من حجارة) ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذمماً عصينا [٢] ، وأمره أبينا، ودينه قلينا، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك، فقال: ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني ".

فانظر كيف انتقم الله منها عندما سبَّت رسوله وحبيبه

- ***قال مرة الهَمْداني كما عند القرطبي (١٠/ ٧٣٣٠):***

" كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة [٣] من الحسك [٤] فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة ذات يوم حُزمة أعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملَك من خلفها فأهلكها "

خنقها الله بحبلها

---

(1) وهي أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وهي لا تقل عن زوجها عداوةً للنبي ﷺ.

(2) أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد ".

(3) بإبالة: الحزمة الكبيرة.

(4) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك، وهو: السعدان.

(٣) وانظر كيف انتقم الله لنبيه وحبيبه ﷺ من أبي لهب وابنه عتبة فقد آذى النبي ﷺ كثيراً:

– انظر إلي عتبة بن أبي لهب عندما سبَّ الرسول ﷺ كيف انتقم الله منه؟

روى ابن عساكر في "ترجمة عتبة بن أبي لهب":

"كان عتبة قد تَجَهَّز هو وأبوه أبو لهب إلى الشام فقال عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينَّه في ربه، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنا كافر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى؛ وتفل في وجه النبي ﷺ (تفل في وجه حبيب الرحمن ﷺ)، فقال النبي ﷺ: اللهم ابعث إليه كلباً من كلابك، ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال اللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك، قال: يا بني والله ما آمن عليك دعاءه، فساروا بالشراة (مكان بين دمشق والمدينة) وهي مأسدة (كثيرة الأُسود) فنزلوا إلى صومعة راهب، فقال الراهب: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد؟ فإنها تسرح الأُسد فيها كما تسرح الغنم، فقال أبو لهب لأصحابه: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي عليكم، وإن هذا الرجل (يعني النبي ﷺ) قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ففعلوا، فجاء الأسد (وهم نائمون) فشمَّ وجوه القوم؛ فلم يجد ما يريد، تقبَّض فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه (أي وجه عتبة) ثم هزمه هزمة (ضَرَبَهُ ضَرْبَةً) ففضح رأسه (شدخه)"

يا الله لمّا تفل في وجه النبي ﷺ؛ أكله الأسد من وجهه ولم يأكله من يديه أو رجليه.

(٤)وانظر كيف كان عاقبة ونهاية أبي لهب (والذي آذى الحبيب كثيراً):

- ***يقول أبو رافع مولى رسول الله ﷺ:***

" رماه الله بالعدسة[1] فقتله؛ فتركه بنوه وبقى ثلاثة أيام، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان إن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناه؟ فحفروا له، ثم دفعوه بعود في حفرته، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى وَارُوهُ ".

(٥) والله يحفظ نبيَّه من أبي جهل ويجعل نهايته على يد غلامين:

- ***فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:***

" قال أبو جهل: يعفر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟، فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته لأطأنَّ على رقبته ولأعفرن وجهه، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلِّي زعم ليطأ رقبته فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاء أجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً".

فانتقم الله لنبيه ومصطفاه، فسلَّط عليه غلامين هما: معاذ بن عمرو بن الجموح ومُعوذ بن عفراء.

- ***فقد أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال:***

" إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلتُ: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: أُخبرتُ أنه يسبُّ رسول الله ﷺ ثم قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبتُ لذلك، قال: وغمزني الآخر[2] فقال مثلها، قال: فلم أنشب[3] إن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فانطلقا كالصقرين فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ". يا الله إنها الغيرة على رسول الله ﷺ

وصدق ربنا حيث قال{ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر: ٩٥]

(1) وهي قرحة تتشائم منها العرب.
(2) قرصني.
(3) ألبث.

بل انظر لمَن استهزأ بسنَّتِهِ ﷺ؛ كيف كانت عاقبته؟

ذكر ابن كثير – رحمه الله – في "البداية والنهاية" (ج ١٣/١٦٣) وذكره الإمام النووي أيضاً – رحمه الله – في " بستان العارفين" صـ٥١:

حكى ابن خلكان قال: بلغنا أن رجلاً يدعى (أبا سلامة) من ناحية بُصرة كان به مجون واستهزاء، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله لا أستاك إلا في المخرج (دبره) فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه؛ فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو ألم البطن والمخرج، فوضع ولداً على صفة الجرزان: له أربعة قوائم، ورأسه كرأس السمكة، وله أربعة أنياب بارزة، وذنبٌ طويل، وأربعة أصابع، وله دبر كدبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات؛ فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأس الحيوان الغريب، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث، وكان يقول هذا الحيوان قتلني وقطَّع أمعائي"

قال ابن كثير – رحمه الله –: وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً، ومنهم من رآه بعد موته.

وصدق ربنا حيث قال: { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر: ٩٥]

وهذا حال كل مَن استهزأ بسُنَّة الرسول ﷺ أو بشخصه العظيم.

والملائكة تدافع عن الرسول ﷺ

فكما أن الله ﷻ يكلأ نبيه ﷺ ويحفظه، ويعصمه من استهزاء المستهزئين، وينتقم منهم أشد انتقام؛ فكذلك الملائكة تدافع عن النبي ﷺ وتنال ممَّن استهزأ بالرسول ﷺ.

روى البزَّار والطبراني عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:

"مرَّ النبي ﷺ على ناس بمكة فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل فغمز جبريل بإصبعه؛ فوقع مثل الظفر في أجسادهم فصارت قروحاً حتى نتنوا؛ فلم يستطع أحد أن يدنو منهم؛ فأنزل الله تعالى: { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر: ٩٥]

وفي رواية عند البزار: **" فماتوا على الفور".**

وفي رواية أخرى له عن أنس ﷺ: **"فغمزهم جبريل فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنه فماتوا"**

وصدق الله تعالى حيث قال:

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ } [الأنعام: ١٠]

وقال ﷻ: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ } [الأنعام: ٣٤]

وقال تبارك وتعالى: { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر: ٩٥]

- وروى أبو نعيم والبيهقي وصححه الضِّياء في المختارة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:

"المستهزئون هم: الوليد بن المُغيرة، والأَسْود بن عبد يغوث، والأسود بن المُطلب، والحارث بن قيس السهمي، فلما أكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء؛ أتاه جبريل فشكى إليه فأراه الوليد، فأومأ جبريل إلى أكحله، قال: ما صنعت؟ قال: كفيته ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عينيه، فقال: ما صنعت؟، قال: كَفَيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث ، فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت؟، قال: كفيته: فأما الوليد فمرَّ به رجل من خُزاعة، وهو يريش نبلاً له، فأصاب أكحله؛ فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمرة، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً، وهو يقول: قد هلكت هاهو ذا أطعن بالشوك في عيني، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قُروح؛ فمات منها، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج من فِيهِ فمات منها، أما العاص فركب إلى الطائف على حِمار فربض على شبرقة، فدخل في أخمص قدمه شوكة؛ فقتلته ".

- وروى أبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن عبد الرحمن بن أبي بكر – رضي الله عنهما – قال:

" كان رجل يجلس إلى النبي ﷺ فإذا تكلم النبي ﷺ بشيء اختلج بوجهه، فقال له النبي ﷺ: كن كذلك، فلم يزل يختلج حتى مات ".

- وهكذا الملائكة تدافع عن الحبيب حبيب رب العالمين وقد مرَّ معنا أن ملك الجبال ينزل بأمر من رب العالمين ليأمره النبي ﷺ بما شاء وكذلك مرَّ معنا ما فعله الملك مع أم جميل.

• **بل لا تتعجب إذا علمت أن الحيوانات تغار إذا سُبَّ الرسولﷺ،**

بل وتنتقم ممَّن يفعل ذلك:

فقد ذكر "صاحب الدرر الكامنة" (٣/٢٠٢):

أن جماعة من كبار النصارى ذهبوا لحفل أمير مغولي قد تَنَصَّر، فأخذ أحد دعاة النصارى يسبُّ النبي ﷺ وهناك كلب صيدٍ مربوط؛ فزنجر الكلب بشدة ووثب على الصليبي فخلصوه منه بصعوبة، فقال رجل منهم: هذا لكلامك في محمد، فقال الصليبي: كلا. بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير، وظن أني أريد أن أضربه، ثم عاد وسبَّ النبي ﷺ بوقاحة أشد ممَّا كان، عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي ومات من فوره، فأسلم نحو من أربعين ألفاً من المغول".

الله أكبر. غارت الكلاب وغضبت لسب الرسول ﷺ

وهكذا ما علمنا أحداً استهزأ بالرسول ﷺ إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة؛ **مصداقاً لقوله تعالى:**

{ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر: ٩٥]، **ولقوله تعالى: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ }**[الزمر:٣٦]

فها نحن ننتظر أن نسمع ونشاهد ما يقر الله به أعيننا في كل من آذى الرسول وحاول النيل منه والطعن فيه.

- أخرج البخاري أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى:

"مَن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة" . *وفي رواية:* "فقد آذنته بالحرب"

فمَن آذى ولياً من أولياء الله فالذي يعلن الحرب عليه هو الله، فكيف بمَن آذى وعادى الأنبياء!؟

لا شك أن الله سيقطع دابره ويخفي عينة أثره، ونسأل الله أن يُعَجِّل بذلك.

وقفة: ما حكم سب الرسول ﷺ؟

لحفظ جناب الرسول إن مَن سَبَّهُ يُقتل وإن تاب، فإن كانت توبته صادقة تنفعه عند الله، وإن كان كاذباً سيُجَازى على ذلك في الآخرة، والعلة في ذلك أن يقتل وإن تاب لحفظ جناب الرسول حتى لا يخرج علينا مَن يَسُبَّهُ ثم يقول: تبت ثم يُترَك، ثم يخرج علينا آخر فيَسُبّ الرسول ثم يقول: تبت... وهكذا.

أخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس – رضي الله عنهما –:

" أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس فقال: أنشد رجلاً فعل ما فعل، لي عليه حق إلا قام، فقام الأعمى يتخطَّى الناس وهو يتدلدل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك؛ فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: اشهدوا أن دمها هدر ".

وكذلك الذمّي إذا سَب الرسول قُتل، فقد احتج الشافعي على أن الذِّمي إذا سبَّ الرسول قتل وبرئت منه الذمة، واستدل بقصة كعب بن الأشرف اليهودي.

(والحديث في "صحيح البخاري": ٣٣٦/٧ رقم ٤٠٣٧ كتاب المغازي، وفي "صحيح مسلم":١٤٢٥/٢ رقم ١٨٠١ في الجهاد).

أيها المسلمون لا عذر لكم عند الله إن لم تدافعوا عن الرسول ﷺ فالدفاع عن النبي ﷺ أمر حتمي

- أخرج الحاكم عن زيد بن ثابت ﷺ قال:

" بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد يطلب سعد بن الربيع ﷺ، وقال لي: إن رأيته فأَقْرِئْه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: خَبِّرْني كيف تجدك؟ قال سعد: على رسول الله السلام وعليك السلام، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلي رسول الله ﷺ وفيكم شُفر(١) يطرف، قال: وفاضت نفسه"

ففيم فكَّر هذا المحب الصادق في آخر لحظات حياته؟ وماذا شغل باله؟

وبماذا أوصى قومه وهو يودعهم مرتحلاً عن هذه الدنيا وما فيها من أهل وأولاد ومتاع؟

إن الأمر الذي شغل باله هو سلامة حبيبه، حبيب رب العالمين ﷺ، والوصية التي أوصى بها قومه هي أن يبذل كل واحد منهم نفسه فداءً للرسول الكريم ﷺ، فلا عذر لهم أمام الله إذا وصل للرسول أذى.

فها أنا أردد مع سعد بن الربيع، وأقول لكم: **"لا عذر لكم أمام الله إن لم تنصروا رسوله ﷺ وتدافعوا عنه في هذه المحنة"**

ولنعلم جميعاً أن دفاعنا عن النبي ﷺ لا يزيد من قَدْرِهِ شيئاً، كما أن إساءة السفهاء له لا تنقص من قدره شيئاً، لكن هذه محنة واختبار لمعرفة المُحِب الصادق للحبيب المختار.

قال تعالى: { وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ } [محمد: ٤]

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في "الصارم المسلول على شاتم الرسول صـ ٢٠٩":

إن الله فرض علينا تعزيز رسوله وتوقيره.

. وتعزيزه: يعني: نصرهُ ومنعهُ. . وتوقيره: يعني: إجلاله وتعظيمه

وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق، فلا يجوز أن نصالح أهل الذمة وهم يُسْمِعُونَا شتم نبينا وإظهار ذلك، لأنا إذا تركناها على هذا؛ تركنا الواجب علينا نحو رسول الله ﷺ. اهـ

إذاً فلابد علينا من الدفاع والذب عن الرسول ﷺ ونصرته؛ **مصداقاً لقوله تعالى:**

{وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٧١]

---

(1) شُفر: بالضم وقد يفتح، وهو طرف العين الذي ينبت عليه الشعر (الرِمش).

فذكر الله تعالى أنه أيد رسوله بنصره وبنصر المؤمنين إياه، ولو تخاذلنا عن نصرة الرسول؛ **فإن الله تعالى يقول:{إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ }**

ولكن كيف ندافع عن الرسول الأمين وحبيب رب العالمين ﷺ ؟

بداية: لابد أن تعرف أن: هناك علامة قبل أن نشرع عن كيفية الدفاع عن الرسولﷺ وهي:-

- **أن يحترق قلبك ألماً، وتنزف عينك دماً لسب الحبيب ﷺ، وأن نكون جميعاً كأبي هريرة رضي الله عنه عندما سمع سب الرسول ﷺ**

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

" كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فسمَّعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره..."

فانظر إلى هذا المحب وكيف أنه بكى لمَّا سمع سب الرسول ﷺ، فهل وجدت هذا من نفسك عندما سمعت أن الرسول يُسب!؟.

فمَن لم يجد هذا الألم في كبده، والحرقة في قلبه، والدمعة في عينه على سب الرسول ﷺ؛ فليعلم أن في إيمانه خلل، ولو سُب أحد ذويه أو قرابته أو زوجته لصاح وعلا صوته، وأرغد وأزبد، وقلا النوم عينه، وزهد عن الطعام، ولن يهدأ حتى ينال من السابِّ، ويصب عليه جام غضبه، فكيف يفعل هذا مع ذويه ولم يفعله مع نبيه!؟ ***وهو القائل كما عند البخاري ومسلم:***

" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين"

فليس لنا إلا أن نقول كما قال حسان بن ثابت لأبي سفيان عندما سب النبي ﷺ:

هجوت محمداً وأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوت محمداً براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاءُ
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم فداءُ

(١) *التبرء من أعداء الدين والمولاة للرسول الأمين وأتباعه الصالحين:*

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء} [المائدة:٥١]

فالتبرء منهم في المظهر والمخبر من أوثق عرى الإيمان

- فلا نحاكيهم في المظهر، ونبغضهم ولا نتودد إليهم.

قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } [المجادلة: ٢٢]

- وانظر إلى هذا المنافق عبد الله بن أُبي بن سلول، **عندما قال:**

{ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}

فلما قفل الناس راجعين إلي المدينة؛ وقف عبد الله بن عبد الله بن أُبي ﷺ على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرُّون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أُبي قال له ابنه: وراءك، فقال أبوه: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله يسير ساقه[1] فشكى إليه عبد الله بن أُبي ابنه، فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ، فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز ".

(٢)مقاطعة منتجاتهم:

وهي كرسالة موجهة إليهم، يتبين من خلالها أننا أمة نغير على نبينا وعلى رسولنا ﷺ، ونقوم بالمقاطعة حتى نُعذَر أمام الله ونقول: يا رب أمرٌ استطعنا أن نفعله ففعلناه.

(1) يسير ساقه: من صفته ﷺ إنه يسوق أصحابه أي يقدمهم ويمشي هو خلفهم تواضعاً، ولا يدع أحداً يمشي خلفه.

(٣) *أن تتوجهوا بُكِّلَيتِكم إلى الآخرة، وأن تتركوا الدنيا وراء ظهوركم:*

ما حدث لنا من انتكاس إلا لأن الدنيا أصبحت في قلوب الناس، فمن أراد نصرة هذا الدين والرسول الأمين ﷺ؛ فعليه أن يطلق الدنيا حتى يسود، فوالله ما ساد الأولون العالمَ إلا لأنهم جعلوا الدنيا في أيديهم ولم يجعلوها في قلوبهم.

ولما جعلناها نحن في قلوبنا سلَّط الله علينا أعداءنا، وهذا ما أخبر به نبينا ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

" يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: بل إنكم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت ".

وهذا هو حالنا لا يخفى على أحد منا، وكم سمعنا وقرأنا عن أناس يموتون، لا من أجل التضحية للدين، ولا من أجل سب الرسول الأمين ﷺ لكن من أجل هدف ضاع من لاعب كرة

وها نحن نسمع ونرى صيحات وآهات، وندم وبكاء لا على سب الحبيب ﷺ، ولكن من أجل فوز فريق وخسارة آخر.

أصبح شبابنا كشباب الغرب (مغازلة للبنات، وقوف في الطرقات، ترك للصلوات) وأصبحت بناتنا كبنات الغرب (تبرج وسفور ورقص وغناء وزنا وفجور)

فيا أمة الإسلام... يا خير أمة أخرجت للناس... عودوا إلى ربكم؛ لتعود لكم الريادة والقيادة.

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

(٤) الدعاء على الأعداء:

فلا سبيل للخروج من هذه المحنة إلا بالفرار إلى الله، واللجوء إليه، ورفع أكف الضراعة إليه والطلب منه، فالدعاء سلاح المؤمن.

- لمَّا أذى المشركون النبي ﷺ دعا عليهم بالموت وقد كان:

" فقال: اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن معيط، وعد السابع فلم نحفظه، قال عبد الله بن مسعود: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر ".

- ودعا النبي ﷺ على كسرى ملك فارس أن يمزق الله ملكه وقد كان:

" لما أرسل الرسول ﷺ كتابه إلى كسرى، فلما قرئه مزقه وقال في غطرسة: وعبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، ولما بلغ ذلك الرسول ﷺ قال: مزق اللهُ ملكه " وقد كان.

فها أنت أخي الحبيب... تستطيع أن تدعو الله أن ينصر الإسلام ويُعز المسلمين، وأن تدعو على كل مَن تطاول على رسولنا ﷺ أن يزلزل الأرض من تحت أقدامهم ويجمد الدماء في عروقهم وأن يُخرص ألسنتهم ويشل أركانهم

(٥)كلٌ في موقعه يدافع عن النبي ﷺ:

فالخطيب يدافع عن النبي ﷺ من خلال منبره

والكاتب يدافع عن النبي ﷺ من خلال قلمه

والعالم يدافع عن النبي ﷺ من خلال دفع الشبهات حول ما يُثار

وصاحب المال يدافع عن النبي ﷺ من خلال طبع الكتب ونشر سنة الرسول وهكذا.

ولو دافع ونافح كلٌ في موقعه؛ سينبهر العالم الغربي اللعين بمدى حب المسلمين للرسول الأمين ﷺ، ولعل هذا يكون دافعاً لهم للبحث عن سيرته العطرة؛ ويكون سبباً لدخولهم في الإسلام.

(٦)أن تكون نعم السفير للإسلام:

فكثير من الغرب لا يعرف شيئاً عن الإسلام، بل يحاول أعداء الدين تشويه صورة الإسلام، وإظهاره بخلاف ما هو عليه، فتارة يُصوِّرُون الطرق الصوفية وما يفعلونه من ذكر مبتدع، من تمايل ورقص ونوم في الطرقات، وما يفعلونه في الموالد، والتوسل بأصحاب الأضرحة، أو ينقلون ما يفعله الشيعة في يوم عاشوراء، من ضرب الأجساد بالحديد، وإسالة الدماء... وغير ذلك من الأمور، والتي هي بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام، ثم ينقلون هذه الصور في وسائل الإعلام الغربية، ويزعمون أن هذا هو الإسلام؛ حتى يصدوا الناس ويُنفروهم من الإسلام، وذلك لما يرونه من زحف هائل لهذا الدين؛ فهو أكثر انتشاراً من النصرانية واليهودية، لما لا وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها.

فما عليك أخي الحبيب إلا أن تُظْهِر لأهل الغرب المخدوعين صورة الإسلام الحقيقية، وأن الإسلام يدعو إلى الحب والسلام والأمان، وأنه يدعو إلى توقير الكبير، والرحمة بالصغير، والعطف على المسكين واليتيم، والصدق في القول والعمل، والوفاء بالوعد، وحسن العهد، وأن الإسلام برئ من سياسة الحرق والهدم والتفجير والقتل والإرهاب وترويع الآمنين، فكلٌّ في موقعه يُظهِر هذه الصورة، فإن فعلنا سيدخل أهل الغرب في دين الله أفواجاً.

ملاحظة

وحتى لا تختلط الأوراق، فلا ينبغي أن يُسمَّى الدفاع عن الوطن ضد المُحتل إرهاب.

أو عندما ندافع عن رسولنا أو مقدساتنا أننا شعب همجي غير متحضر، لا. بل ينبغي أن نغلظ على كل مَن بارز الإسلام بالعداء، وكان محارباً له وأظهر ذلك.

أما الذِّمي الذي آمنتَهُ، أو آمنتْهُ الدولة على نفسه ولم يظهر العداء، فلا ينبغي قتله أو ترويعه وهذا هو إسلامنا

أخرج البخاري في "التاريخ" والنسائي عن عمرو بن الحنق الخزاعي ﷺ عن النبي ﷺ:

"مَن أمَّن رجلاً على دمه فقتله؛ فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً ".

(٧) الرجوع إلى الدين لإغاظة الكافرين:

أيها الأحبة...

١- إن هذه الأمة لا يمكن أن تكون عزيزة، إلا بإتباع دينها، وتعظيم أمر ربها، وإتباع سنة نبيها وعدم مخالفة أمره، فهذه هي الركائز التي يقوم عليها الدين، ويكون فيها عز الإسلام والمسلمين، ويكون الانتصار للدين، **كما قال تعالى:** **{إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ }** [محمد:٧]

فأكثر ما يغيظ الكفار وأعداء الدين والمنافقين؛ هو رجوع الناس إلى ربهم واستعلانهم بشعائر دينهم

- أخرج الإمام أحمد من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ:

" ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين ".

فكيف بما عدا التأمين؟ من إعلان الأذان، وتعمير المساجد وتراص المصلين راكعين ساجدين خاشعين، وكذلك يغيظهم ما يرونه من الحشود الغفيرة، والملايين الكثيرة التي ذهبت إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج.

وكذلك إذا خرجت المرأة متحجبة تعلن في إباء:

أنا الفتاةُ المسلمة مصونةٌ مكرَّمة

عفيفة محتشمة بين الورى محترمة

فهذا كله يغيظ أعداء الدين ويجعلهم في هم دائم، ومُغايظة الكفار غاية محبوبة للرب جل وعلا، ووصف اللهُ النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم بأنهم كزرع: **{يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}**

[الفتح: ٢٩]

فلا سبيل لنا في هذه المحنة إلا بالرجوع إلى الله ﷻ، **وانظر إلى قوله تعالى:**

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ }

[الحجر: ٩٥- ٩٨]

يقول السعدي – رحمه الله– في تفسير هذه الآية:

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} بك وبما جئت به، وهذا وعد من الله لرسوله ألا يضرّه المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به؛ إلا أهلكه الله وقتله شر قِتلة، ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله ﷺ فإنهم أيضاً يؤذون الله: **{الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}** وهو ربهم وخالقهم،**{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}** أفعالهم إذا وردوا القيامة، **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ}** لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقونه، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم **{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}** أي يا محمد أكْثِر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة، فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك.اهـ **[الآيات من سورة الحجر: ٩٥- ٩٨]**

وانظر كيف وصف الله لرسوله العلاج عندما استهزأ به المجرمون، وهو اللجوء إلى الله والوقوف بين يديه، وكثرة ذكره وتسبيحه.

– فمَن خالف أمر النبي ﷺ فإنه يُقحم نفسه في النار، ولا أجد مثلاً لمن خالف أمر النبي ﷺ إلا هذا المثال:

– ففي "صحيح البخاري ومسلم" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنما مثلي ومثل أُمتي؛ كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقضي فيه، فأنا آخذ بحجزكم [١] وأنتم تقحمون [٢] فيه ".

– وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ أوقد ناراً فجعل الجَنَادِبُ [٣] والفراشُ يقعن فيها وهو يذبُّهُنَّ عناه وأنا آخذُ بحُجَزِكُم عن النار وأنتم تفلَّتون [٤] من يدي ".

(1) الحُجز: هي معقد الإزار والسراويل
(2) تقحمون: التقحم هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت.
(3) الجنادب: الصرار الذي يشبه الجراد، وقيل: له أربعة أجنحة كالجراد، وأصغر منها يطير ويصرّ بالليل صِراً شديد
(4) تفلَّتون: تهربون مني.

وكيف نرجع إلي الدين؟

لا يكون ذلك إلا بطاعة الرسول ﷺ فيما أمر، وعدم مخالفته فيما عنه زجر، وهما الركيزتان اللتان يقوم عليهما نصرة الرسول الأمين ﷺ وخزي أعداء الدين.

➢ *الركيزة الأولى: عدم مخالفة أمر النبي ﷺ:*

فلنعلم جميعاً أن ما نحن فيه الآن من الذلة والصغار ما هو إلا بمخالفة أوامر النبي العدنان ﷺ

– وانظر إلى الرماة في غزوة أُحُد، لما خالفوا أمراً واحداً من أوامر الرسول ﷺ كانت الهزيمة والذلة والصغار حتى فاءوا إلي أمر الله.

– وانظر عندما خالفنا أوامر الرسول الأمين ﷺ، وذهبنا وقلدنا الغرب اللعين؛ سلَّطهم الله علينا، وهذه سُنَّةٌ ربانية لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحداً، فالعزةُ كلُّ العزةِ في اتِّباع هدي النبي ﷺ، والذلُّ كلُّ الذُّلِّ في مخالفة هديه ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال:

قال رسول الله ﷺ: **"وجعل الذلة والصغار على مَن خالف أمري، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم"**

– وقال الحسن البصري في شأن العصاة المخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ:

" لو طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البرازين؛ فإن ذل المعصية سيدركهم، أبى الله إلا أن يذل مَن عصاه ".

١– وعصيان الرسول ومخالفة أمره ﷺ مؤذنٌ بالعذاب الأليم، **قال تعالى:**

{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور:٦٣]

٢– وعصيان الرسول ومخالفة أمره ﷺ سبب الضلال المبين، **قال تعالى:**

{وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } [الأحزاب: ٣٦]

٣– وعصيان الرسول ومخالفة أمره ﷺ سبب دخول الجحيم عياذاً بالله منها، **قال تعالى:**

{وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [النساء:١٤]

فالعِزُّ كلُّ العِزِّ في طاعة الرسول ﷺ وهذه هي الركيزة الثانية

➢ *الركيزة الثانية: طاعة الرسول ﷺ فيما أمر:*

ولنعلم أيها الأحبة... أن من شأن أهل الإيمان إذا دُعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا: سمعنا وأطعنا

قال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [النور: ٥١]

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب: ٣٦]

ثم فليُعْلَم إن طاعة هذا النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – من طاعة الله ﷻ، **قال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا }** [النساء:٨٠]

١ – وطاعة النبي ﷺ سبب الهداية والفلاح، قال تعالى: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } [النور: ٥٤]

٢ – وفي طاعته ﷺ حياة للقلوب، قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال: ٢٤]

٣ – وطاعته ﷺ سبب للرحمة، قال تعالى:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة: ٧١]

٤ – وطاعة الرسول ﷺ سبب للفوز العظيم، قال تعالى:

{وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧١]

٥ – وطاعة النبي ﷺ واتباعه؛ فيها بركة وفضل، حيث نحظى بمحبة ربنا ﷻ، وتُغْفَر لنا ذنوبنا، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } [آل عمران: ٣١]

وهذه الآية حاكمةٌ على مَن ادَّعى محبة الله ﷻ، فلا يُتَصوَّر أن شخصاً يحب الله ﷻ ثم هو يعصي نبي الله ويخالف أمره ﷺ.

تعصي الإله وأنت تزعم حبَّه — هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته — إن المحب لمَن يحب مطيع

٦ – وطاعة الرسول ﷺ لا يُغْفَر بها الذنوب فقط، بل تكون سبباً لدخول الجنة، قال تعالى:

{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [النساء: ١٣]

وفي "صحيح البخاري" أن النبي ﷺ قال:

" كلُّ أُمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى، قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى "

وليست طاعته ﷺ سبباً في دخول الجنة فقط، بل ستكون رفيقاً له ﷺ في الجنة

فقد ذكر القرطبي في "تفسيره" والبغوي بسنده:

" أن ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحبِّ له، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغيَّر لونه، ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن، فقال له: يا ثوبان ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله، ما بي من ضرٍّ ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقتُ إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، وأخاف ألا أراك لأني عرفتُ أنك تُرْفَع مع النبيين، وإني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخلها فذاك حين لا أراك أبداً، فأنزل الله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا }[النساء:٦٩]، فدعاه فقرأها عليه

فاجعلوا طاعتكم للرسول إغاظة للكافرين وطاعة لرب العالمين، وعز في الدنيا، ونجاة يوم الدين، وإياكم ومخالفته، فإن هذا يشرح صدور الكافرين، ويورث ذل في الدنيا، وعذاب يوم الدين.

- **وضرب لنا النبي ﷺ أمثلة تبين مصير كل مَن أطاعه ومصير مَن عصاه.**

- فقد أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال:

" جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمةً، والقلب يقظان، فقالوا: مَثَلُهُ كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يُجِب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوِّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمَن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومَن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرَّق بين الناس ".

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعته طائفةٌ من قومه فأدلجوا [1] فانطلقوا على مَهْلِهِم، وكذَّبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم [2] ، فذلك مثل مَن أطاعني واتبع ما جئت به، مثل مَن عصاني وكذب ما جئت به من الحق ".

وأخيراً أيها الأحبة... **يقول ربنا: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }**[آل عمران:١٣٩]

إن هؤلاء الأقزام الذين آذوا رسول الله ﷺ وسبُّوه، لم أجد لهم مثالاً إلا هذا، فعندما وقفت ذبابة على نخلة عملاقة فهمَّت بالرحيل، فقالت الذبابة للنخلة استمسكي فإني راحلة عنكِ، فقالت النخلة في استعلاء لهذه الحشرة الحقيرة: ارحلي فوالله ما شعرت بك حينما وقفت عليَّ، فهل سأَتَأَثَّر إذا رحلتي عني!!؟

أو كالذي ينظر إلى السماء ثم يبصق عليها؛ فينزل البصاق عليه، وما يضر هذا السماء في شيء.

- فسبُّ الرسول ﷺ محنة عظيمة عاشتها الأمة الإسلامية، لكنني أجد أن من المحن تأتي المنح، ومن الظلام يولد النهار، **قال تعالى: {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ }**[النور:١١]

(1) أدلجوا: ساروا من أول الليل

(2) اجتاحهم: أستأصلهم.

وهذا الخير نشاهده في هذه الصحوة التي اجتاحت العالم الإسلامي.

– فبدأ الخطباء على مستوى العالم الإسلامي يدافعون ويُنافحون.

– وبدأ العلماء ينتفضون ويردون ، وسُنَّة الرسول يُعلِّمون.

– وبدأت وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة تتكلم عن الرسول الحبيب ﷺ .

– وبدأت الناس تأخذهم الحمية غيرةً لقرآن ربهم ولرسولهم ﷺ.

– فالرسول ﷺ يُهان، والقرآن يُداس بالأقدام،ويُحرق في ميدان عام، فهل بعد هذا الهوان من هوان!؟

فقام الناس من غفلتهم، وفاءوا إلى ربهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨/٥٨):

ومن سُنَّة الله أنه إذا أراد إظهار دينه؛ أقام مَن يعارضه، فيُحق الحقَّ بكلماته، ويقذفُ بالحقِّ على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق.

فهؤلاء الأقزام:{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }

[الصف: ٨]

فلو اجتمعت الأفواه جميعاً ليطفئوا نور الشمس ما استطاعوا، فكيف بنور الله!؟

إن الطحالب العائمة لا توقف السفن الماخرة

فالإسلام قادم، وسيكون التمكين بإذن رب العالمين، وحتى لا يتسرب اليأس في قلوب الناس وتخور العزائم؛ لابد من ذكر مبشرات النصر، فذكر المُبشرات في حالات الشدة والمحن سُنَّة نبينا ﷺ.

- *قال خباب بن الأرت ﷺ كما عند البخاري:*

" شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال النبي ﷺ: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فَيُجَاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشق باثنتين، وما يصُدَّه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصُدَّه ذلك عن دينه، والله ليَتِمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون ".

فنقلهم النبي ﷺ من أسوأ حال لهم إلى أحسن ما يجدون هم من الأمن؛ لتكون البشرى سبب في رفع الهمم بعد أن تدنَّت.

فعلى أولياء الله... أن يعتزوا بدينهم، وأن يستعلوا فوق وطأة الباطل؛ فإنهم هم المنصورون، وإذا كان أعداء الله يتباهون بقوتهم، وكثرة عددهم وعدتهم؛ فإن المؤمنين يفخرون بنصر الله وكريم معِيته وعونه لهم، **قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } [النحل: ١٢٨]**

وقال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ}

[الأنفال:١٢]

والنصر والتمكين لعباد الله الموحدين، وهذا موعود رب العالمين

قال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: ٣٣]

وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}

[الصافات: ١٧١- ١٧٣]

- *وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال:*

" تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ".

فالكلُّ قد كان، وها نحن ننتظر الأخيرة **(خلافة على منهاج النبوة)**

- وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال:

" لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود، وحتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي، تعالَ فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود "

ونسأل الله ﷻ أن يأذن بهذه اللحظة

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان علي إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

ولكنها الحرب على المصطفى ﷺ

منذ اللحظة التي أعلن فيها النبي ﷺ عن ميلاد فجر جديد للإنسانية؛ انفجرت مكة بمشاعر الغضب حينما سمعت هذه الصيحة العالية المدوية، وكأنها صاعقة قصفت السحاب فرعدت وبرقت وزلزلت الجو الهادئ.

- بدأت الحرب منذ بزغت وأشرقت شمس الإسلام على جزيرة العرب، ومنذ أعلن الرسول ﷺ عن دعوته؛ بدأ العداء على هذا الدين وعلى الرسول الأمين ﷺ

- بدأت الحرب على الرسول ﷺ بشتى أنواعها وأشكالها

تارة بإيذائه والإساءة إليه، وتارة بمحاولة قتله، وتارة بحربه، وتارة باتهامه في أهل بيته، وتارة بوضع السم له في الطعام وتارة... وتارة

- **تارة بإيذائه والإساءة إليه**

فقد جاء عند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:

"لما نزلت هذه الآية: " فاصدع بما تؤمر وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فَهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرُج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقي، قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال: فقال أبو لهب: تبَّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟

فيتولَّى الله ﷻ الدفاع عن حبيبه؛ فينزل قرآناً يُتلى إلى قيام الساعة:

فنزلت هذه السورة: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } [المسد]

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

" بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيئ بسَلَى [1] جزور بني فلان؛ فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر، حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظرُ لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش"... ثلاث مرات، فشقّ عليه إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سَمَّى: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب [2] قليب بدر"

- **ولم تنتهِ الحرب بل مازالت الحرب مستمرة على المصطفى ﷺ**

ويحاول عقبة بن أبي معيط خنق النبي ﷺ وقتله:

- فقد أخرج البخاري عن عروة بن الزبير – رضي الله عنهما – قال: سألت ابن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : " أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ قال: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ }... الآية " [غافر:٢٨]

- **بل ظل الاعتداء على النبي ﷺ حتى مات متأثراً بالسُمِّ الذي دسُّوه له في كتف الشاة**

فقد أخرج البخاري عن عائشة – رضي الله عنها– قالت:

" كان رسول اللهﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أُبهري من ذلك السم ".

(1) السَلَى: هي الجلدة التي يكون فيها الولد، يُقال لها ذلك في البهائم، أما الآدميات: فتسمى المشيمة.
(2) القليب: البئر